أزمة الهوية في الخطاب النقديّ العربيّ

أ.م.د: حسن سالم هندي
جامعة الأنبار/ كلية التربية للبنات – قسم اللغة العربية

الملخص:

يُعدُّ التحدي الذي تواجهه أمتنا على مستوى هويتها وخصوصيتها من أخطر أشكال التحدي وأكثرها فتكا في كيان الأمة، ويبدو هذا ماثلا في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ويتضح على أشده في الجوانب الفكرية والأدبية والثقافية، والأدوات المسؤولة عن تقويمها ألا وهي النقد الذي يعاني من أزمة تتعلق بهويته وانتمائه .وتبدو ملامح هذه الأزمة في عدة اتجاهات: منها ما يتعلق بتأثير المذاهب والمناهج النقدية الوافدة التي لا تتفق في منطلقاتها وتصوراتها وأفكارها مع طبيعة الأدب العربي وخصوصيته ،ومنها ما يتعلق بلغة النقد ذاتها التي تحولت بفعل الترجمة والغموض والتوعر إلى أزمة أخرى تحول دون فهم النصوص النقدية ،ترتبط معها فوضى عارمة على مستوى استعمال المصطلحات وتعريبها مما أضاف إشكالية جديدة وأزمة أخرى. يأتي ذلك كله في اطار موقف غير واضح من التراث على نحو عام والتراث النقدي على نحو خاص..

تعاضدت هذه القضايا وغيرها على تغيب النظرية النقدية الموحدة ، فأضحى النقد العربي بسبب تبعيته للنقد الغربي فهو عبارة عن أراء متفرقة وجهود مبعثرة لا يجمعها منهج، ولا تلتزم بمذهب. ويسعى البحث من خلال رصيد هذه العقبات الى إصلاح الخلل ورصد الزلل بغية تقويم النقد وتصحيحه للوصول إلى منجز نقدي يمثل ذاتنا وهويتنا ويحفظ لنقدنا خصوصيته وهويته وانتمائه.

المقدمة:

يتسم العصر الراهن بأنه عصر التقنيات والمعلومات الهائلة التي استطاعت تحويل العالم إلى قرية صغيرة، سقطت فيه كل شروط الخصوصية ،وتحطمت فيه أغلال المركزية المعرفية الداعية للاستغناء بذاتها وتراثها عن الآخرين ، جاء ذلك وراء صرخات الغرب المستمرة ودعواتهم لعالمية المعرفة، والثقافة والدين ،وتأكيدهم على الأبعاد الإنسانية، تحت ستار حقوق الإنسان والمجتمع الدولي والمدني ...وفي ظل هذا الواقع المنفتح للمعرفة والثقافة كان لابد أن تنتشر ثقافة الأخر وتروج بوصفها نتاجاً واقعاً متطوراً ومتقدم ، ومما زاد في سرعة انتشارها انها جاءت في سياق الهيمنة الغربية على مختلف مجالات الحياة ، قابلها تخلف الواقع العربي في مختلف مجالات الحياة ايضا ، فكان من العسير في ظل هذه الظرف أن تسلم هوية الأمة من العوارض، أو أن تستقل بشخصيتها كامل الاستقلال، أو أن يكون لنا منجز نقدي واضحة الهوية واضح القسمات غير هجين، أو أن يخرج جيل كامل من النقاد الممتازين من أمة متخلفة فكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً؛ لأن النقد الأدبي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهوامش الحرية ،ومدى الانفتاح الاجتماعي والتقدم

العلمي والاقتصادي.. فكان الخطاب النقدي(*) أشد الميادين تأثرا وأكثرها قبولا وترحيبا بالمنجز النقدي الغربي ؛فمن الصعوبة–في ظل هذا الواقع– ان يحبس النقد نفسه في صومعة بمنأى عن التأثير والتأثر عن الجهد النقدي العالمي، زيادة على أن ثقافة بعض النقاد وأطروحاتهم النقدية متأثرة بالفكر الغربي أصلا الذي قدم في هذا الجانب جهدا نقديا متميزا ينسجم مع منطلقاته الفكرية والفلسفية، ويتفق مع خصوصيته ، وحتما في ظل هذه التصور أن تحدث قطيعة معرفية بين نقدنا العربي المعاصر وجذوره العربية والإسلامية الخالصة التي تتشكل منها هوية الأمة، لتلوح في الأفق بوادر أزمة تهدد النقد على صعيد هويته ،في وقت لم تستطع الاصوات النقدية المحافظة –التي ترفض الفكر الغربي جملة وتفصيلا– أن تقدم نظرية نقدية تحصن النقد العربي من المناهج النقدية الوافدة، وتتفق مع خصوصية الادب العربي ، كما غابت عندنا منهجية التوظيف و آلية الانتقاء والانتخاب من الصالح في الفكر الغربي .ليظل –بالمقابل –الميدان مفتوحا أمام النقد المتأثر بالغرب الذي لم يفلح هو الاخر– وعبر عقود خلت – أن يبلور رؤية نقدية ناضجة ، فهو إلى الأن يعاني من جملة إشكالات منها: ذوبان هويته وخصوصيته الفكرية وتلاشي معالم شخصيته، وابتعاده عن الموضوعية، ونزوعه النزعة الذاتية التي غيبت الوحدة المنهجية ، فلكل ناقد مدرسته ومنهجه الخاص يقلده ويقتفي أثره، وهذا ما يفسر كثرة المناهج النقدية الوافد وتعددها إلى درجة لم تسمح بتبلور نظرية نقدية موحدة، فضلا عن ذلك فإنّ لغة الخطاب النقدي تعاني من الغموض والتعقيد والتعالي والارستقراطية، والمنهج البحثي النقدي يرفض أن يُدخِل التقييم الديني والأخلاقي ضمن عمل النقد، في الوقت الذي يقف فيه من التراث مواقف متفاوتة، فهو تارة يقر على –مستوى التنظير– بأهمية التراث، وتارة يرفض فيه التراث جملة وتفصيلا ،ويحمله أوزار التأخر في الميادين كافة، وهو في الاحوال كلها لا يعمد الى قراءة الموروث قراءة كاملة بل يعتمد على الانتقاء والقراءة الجزئية للموروث النقدي بحسب ما يستدعيه الموقف الذاتي وتفرضه المصلحة التي يرجوها في اثبات حكم أو نفيه. هذه المواقف المتناقضة وغيرها من القضايا هي التي حدّت من فعاليته، وجعلته يعاني من غربة، ويمر بأزمة تهدد هويته وكيانه وذاته.

ويبدو أن ملامح هذه الازمة النقدية بدأت من خارج السياقات النقدية ،أو الخطاب النقدي من خلال وجود شرخ عميق في الثقافة العربية بين فريقين أو معسكرين يرفضان الانسجام والالتقاء، فيحرمان نفسييهما من منهجية سد الخلل وتصويب الزلل والمراجعة ، والانتفاع من التنوع الفكري

(*) أخذ مفهوم الخطاب بالاتساع الى الحد الذي صار معه يشتمل على التوجهات والرؤى والافكار الفردية والجمعية التي تتجسد بالتعبير الشفاهي او الكتابي او السلوك العملي.. بدليل قولنا –مثلا– الخطاب السياسي العربي والخطاب الفلسفي و الخطاب الادبي والخطاب النقدي العربي والمقصود فيه شيء اعم من قولنا السياسة العربية او النقد العربي .لذا فأن الباحث فضل استعمال مصطلح الخطاب لهذه الاعتبارات.

الحاصل بين الطرفين؛ لتتحول وجه كل فريق أو معسكر الى ازمة بحد ذاتها ، فمعسكر يرتد إلى الماضي ويغلق بصره عن الحاضر وعن طبيعة العصر ومشكلاته وطرائقه في الإبداع، ويتغنى بما فعل الأجداد من النقاد والمبدعين، ويباهي بإنجازهم من دون مشاركة حقيقية في إنجاز راهن، وكأنه هو الذي أنجز وأبدع، وينحي باللائمة على ما يستجد في الشاطئ الآخر أو حتى في المنطقة العربية، ويتسلح بالتراث والتراث لديه محض وهم؛ فليس التراث نقطة متعينة في الزمن، وليست حاجزاً افتراضياً، بل هو ممتد فينا حتى اللحظة الحاضرة. والمعسكر الآخر فريق شدا شيئاً من المعرفة النقدية الغربية باطلاعه على بعض المصادر الأساسية بلغتها الأصلية أو المترجمة، ولم يفطن إلى تطور حركة الفكر وامتداده منذ فجر التاريخ، ونسي أن يتأمل التطور والتداخل وأن يفطن إلى الأشباه والنظائر، وأن يحلل الواقع بمعطياته الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأن يعاين الإبداع عامة والنقد على نحو خاص من منظور العلاقة بين الأنا والآخر، أو التأثير والتأثر في جدلية متبادلة لا تكتفي برؤية الأمر من زاوية الأخذ والسلخ والاستنساخ [١]. وتجاهل هذا الفريق خصوصية الواقع العربي الأدبي والثقافي والاجتماعي وراح يغرف من المنجز النقدي الغربي دون بصيرة أو روية، ويحاول قسرا اخضاع الادب العربي لقوانين هذه المناهج والنظريات متناسيا أن هذه المناهج والنظريات هي نتاج واقع مختلف تقف ورائها اسباب فلسفية وعقدية وتاريخية واجتماعية تخص امة بعينها . ومشكلة الفريقين انهما يرفضان وجود ازمة اصلا، وان اعترف احدهما –على استحياء– بوجود ازمة ما ، فأنها في عرفه تتعلق بوجود الاخر في الساحة النقدية العربية ، بل ربما ارتبطت عند فريق منهم شروط الابداع بإزاحة الاخر وتقويضه تماما من حياة الناس[*]، لذا إنّ الجهد العربي النقدي قد انشغل كثيرا بالمعارك النقدية والسجال ، وتحول قسم منه الى نقد ذاتي محض يفتقر الى الموضوعية.

---

[*] من أمثلة هذا الفريق أدونيس الذي يرى: ان النقد العربي القديم يدور كله حول معرفة مدى التطابق بين كلام الشاعر والحق أي بين الشعر والأخلاق والدين، لذلك فان معيار الصحة الشعرية . بحسب ذلك الموروث . كان معيارا إسلاميا أخلاقيا يحاول ان يدرك تماسك النظام الديني وتطابق الشعر معه ، فالنقد بحسب تلك النظرة القديمة كما يرى ادونيس فن اكتشاف الوحدة بين الشعر والواجب الأخلاقي والاجتماعي ، وأدونيس يضع هذا الكلام بوصفه نتيجة استقرائية مفروغ منها وخلاصة للمتن النقدي القديم كله ، لذلك . فمن وجهة نظر أدونيس . يجب ان تتغير النظرة إلى النقد بالثورة عليه لتغيره جذريا. ولن يتم ذلك الا بشطب الدين والاخلاق من عرف الناس... ينظر: الثابت والمتحول ص٨٧

من هنا تأتي هذه المحاولة في قراءة منجزنا النقدي من قراءة نقدية ترمي الى البناء وسد الخلل ،ولن نختلف مع احد في توصيف العنوان بـ(ازمة النقد أو نقد النقد او قراءة نقدية)[*] او بأي صيغة اخرى يرها القارئ اكثر مناسبة ، فالمهم عندنا ان لا يتحول وصفنا الى اتهام او ادعاء او مبالغة يقصد منها تقويض الجهود النقدية المعاصرة، والحط من شأن المنجز النقدي المعاصر. فهذا عكس ما ترجوه الدراسة التي تطمح الى المراجعة والنقد، والتأشير الى مكامن العطب بموضوعية وحياد ،بغية الوصول إلى منجز نقدي يمثل ذاتنا وهويتنا ،ويحفظ لنقدنا خصوصيته وهويته وانتمائه.. واذا لم يعترف احد بوجود ازمة ما ، أو ان الامر مبالغ فيه، فأننا لانعدم من التأشير على بعض معالمها وارهاصاتها رجاء أن لا تتحول هذه الارهاصات الى أزمة فعلية في المستقبل، هذا أن سلمنا جدلا بعدم توافرها .وقد تم ضبط معالم هذه الازمة بعنوانات متعددة مع

---

[*] عرف النقد الأدبي في العصر الحديث مجموعة من التحولات الكبرى، لعل من أهمها ظهور خطاب نقدي يجعل من النقد نفسه موضوعا للتفكير والتحليل، وبالرغم من أن هذا النشاط قديم في الممارسة النقدية العربية، إلا أن التنظيرات الحديثة هي التي سعت إلى الارتقاء به إلى درجة الكيان المعرفي النوعي ضمن كيانات العلوم الإنسانية وتأتي محاولة عبد العزيز قلقيلة في كتابه: (نقد النقد في التراث العربي) في مقدمة المحاولات التأصيلية العربية الحديثة التي اهتمت بالبحث عن جذور (نقد النقد) في التراث النقدي العربي القديم، مع أن الصورة النهائية التي توصل إليها لمفهوم (نقد النقد) لا تتجاوز تلك الكتب النقدية التي ألفها أصحابها منتقدين كتبا نقدية أخرى: ثم تأتي محاولة نبيل سليمان (مساهمة في نقد النقد الادبي) وثلاثية عبد العزيز حمودة (المرايا المحدبة والمرايا المقعرة والخروج من التيه) وغيرها الكثير من الدراسات.

الا ان الارهاصات الاولى لهذا اللون من النقد بدأت في مرحلة زمنية متقدمة تعززت بظهور كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي"، الذي يعتبر أول مشروع عملي يؤسس لبداية "نقد النقد" دون أن يستعمل المصطلح. لكن حدود هذا الوعي لم ترسم بدقة إلا مع العقد السادس بعد ظهور خطاب "أزمة النقد" الذي أبان عن حاجة النقد إلى تجاوز نفسه .وبهذا وقف "نقد النقد" على عتبات جديدة، جعلته أداة للتصحيح، وميزته عن النقد، وتاريخه، وتياراته وقد مرت هذه المرحلة بعدة مسميات الا ان مضمونها واحد فمن مرحلة غياب المصطلح مع حضور الممارسة الى مصطلح نقد النقد الى مرحلة استعمال مصطلح اقل حدة واكثر تلطفا مثل :قراءة نقدية او قراءات نقدية وصولا الى مصطلح(أزمة الهوية) الذي اثرنا استعماله لدقته في التعبير عن اشكالية النقد في واقعنا الراهن ولانسجامه مع هدفنا من البحث ،وربما يشعر لقارئ بنوع من المبالغة في صيغة العنوان الا ان الامر في تقدير الكثير من الباحثين ومنهم الدكتور علي عباس علوان قد تجاوز الازمة كما يذكر في احد مقالته: "الحال أكبر من الأزمة، ذلك أن الأزمات ترتبط بمرحلة زمنية سرعان ما تتهيأ ظروف وقوى ومتغيرات تساعد على حل الأزمة. لكن الذي يعيشه النقد العربي أكبر من أزمة، أنها حال من عدم التوازن المريع، لم يستطع الحداثيون تقديم المقنع والبديل ولم يستطع التقليديون كذلك تقديم الثبات المتميز الأصيل. حال اللاتوازن هذه لا تبشر بخير لأنها تضع كل الاشياء على خط أفقي من الرداءة والجودة، والقوة، والضعف" من مقالة للدكتور علي عباس علوان في مجلة الحزب الشيوعي العراقي بتاريخ ٢٨ ايار ٢٠١٣ تحت عنوان النقد يعيش اكبر من ازمة.

الاقرار ان جدائل وحبائل هذه الازمة عصية على الفرز والانقسام لأنها متداخلة الى حد بعيد ، لكن لدواع منهجية وشكلية حددت بالاتي:

المذاهب الغربية بين الرفض المطلق والقبول المطلق، ولغة الخطاب النقدي ،والذاتية والموضوعية ، وغياب النظرية النقدية ، وموقف النقد من التراث. وأخير لا يدعي هذا الجهد المتواضع الإلمام بإشكالات النقد كلها ،وحسبه انه أثار جملة من القضايا المتعلقة بهوية النقد المعاصر ومستقبله، وترك أخرى لجهود بحثية أكثر شمولا .

معالم الازمة:

أولاً/ المذاهب والنظريات الغربية بين القبول والرفض:

(حتمية التأثر واسبابه):

إنّ اتصالنا بالثقافة الغربية الحديثة عموما جاء في سياق الهيمنة الغربية بمختلف صفاتها واشكالها على مجالنا الحضاري ،من هنا لا غرابة ان يتأسس الخطاب النقدي والثقافي العربي الحديث بمختلف اشكاله وعناصره وموضوعاته على هاجس التعرف على الحضارة الغربية ، ومن ثم التعريف بها لدى المتلقي العربي؛ [٢] وفي الغالب فأن شروط اتصالنا بالغرب كانت "مفروضة" على النخب العربية في المجالات كلها من قبل الأخر الغربي ، ونقول أنها مفروضة لا بمعنى ان هذا الاخر كان يجبر المثقف العربي على تبنيها وترويجها ،وانما بمعنى ان تطور أشكال الوعي بوضعيات التخلف الحضاري الذي يعيشه المجتمع العربي كان يتطلب من هذه النخب التواصل مع الانجازات الفكرية والعلمية والمعرفية الغربية كي تطور خطابها الثقافي [٣] في الوقت الذي عجزت فيه هذه النخب على استنهاض التراث العربي والاسلامي ،وتوظيفه بما ينسجم والواقع الراهن ،ولم تستطع ان تنأي بنفسها عن حتمية التأثير والتأثر، والاحتكاك بالمنجز الغربي الذي قدم كشوفات مهمة في المجالات كافة ، وعرضها في سياق نظرية الغالب والمغلوب التي اشار اليها ابن خلدون ، فجاء الموقف النقدي من هذا الوافد الجديد غير متوازن ومتأرجح ما بين الانكباب على المنجز الفكري والثقافي الغربي بنهم دون تميز بين حلوه ومره، خيره وشره كما يريد له الدكتور طه حسين [٤] وما بين العزلة التامة والتقوقع على الذات بحجة المحافظة على الخصوصية والهوية التي جعلته يسير ضد طبيعة الاشياء والسنن والتاريخ ،بل ضد منهج الفكر الاسلامي الذي تحاور مع مجمل الفكر العالمي، ولم يفقد خصوصيته في مرحلة من مراحل التاريخ، مع فارق اساسي ان ذلك حصل في مرحل الازدهار الحضاري للفكر الإسلامي .

بدايات التأثر

وفي ظل هذه العوامل التاريخية وغيرها ، فقد تأثر النقد العربي الحديث تأثرا بالغا بالنقد الغربي ،منذ بداية القرن الماضي في كتابات نقولا فياض في (بلاغة العرب والفرنج) وسلامة موسى (التجديد في الادب الانكليزي الحديث)سنة ١٩٠٠وسليمان البستاني في مقدمته لترجمة الإلياذة ،وروحي الخالدي في(تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب وفكتورهيجو)سنة ١٩٠٢وقسطاكي الحمصي في (منهج الوراد في علم الانتقاد)سنة ١٩٠٧وغيرها من الكتابات التي شغلت مجلتي المقتطف والهلال وغيرها آنذاك. لكن بحكم ريادتها فقد ظلت هذه الجهود محصورة في إطار المعايير النقدية والبلاغية القديمة ،وأن دعوتها ظلت نوعا من النقل أو الترجمة عن الاوربيين[٥] بيد أن البداية الأكثر وضوحا وتأثرا بالمنجر النقدي الغربي بدأت منذ أن طبق صاحبا الديوان العقاد والمازني بعض القواعد الرومانسية على شعر شوقي ، فكانا يرجعان في نقدهما إلى هازليت وماكوكي وارنولد ووشاستري ، فأغلب أراء العقاد مأخوذة من محاضرات هازليت في الشعر الانكليزي ، ورجع العقاد في مذهبه النقدي النفسي أيضا إلى ريتشاردز في كتابه مبادئ النقد الأدبي ، وذهب فيه إلى تقرير الصلة بين مسائل النقد الأدبي وعلم النفس[٦] .وقد اتضح هذا التأثر في مرحلة مبكرة سبقت محاولة العقاد والمازني، إذ ظهرت دراسات نقدية وأعمال تطبيقية ترتبط بالمناهج النقدية الغربية صراحة وضمنا ،لاسيما بعد تأسيس الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ واستدعاء المستشرقين للتدريس فيها .

ومن باب الإنصاف والموضوعية القول أن ثقافة بعض النقاد الرواد مستمدة من مصدرين غربي وعربي ، فكتابات العقاد النقدية مثلا تنم عن وعي بالمنجز النقدي الغربي وكيفية التعامل معه ، و الحذر من التقليد الأعمى للمذاهب الغربية ، ففي الوقت الذي يرى في المذاهب الغربية (بعض السخافة) فأنه يرى–أيضا– " أن لا تهمل وأن لا يلتفت إليها ، ولكنها خليقة أن تدرس كما تدرس عوارض الأمراض والعلل والنكبات، ولكن البون بعيد جدا بين دراستها لهذا الغرض ودراستها للاقتداء بها ، واعتبارها من مدارس الفن والأدب، ونماذج الذوق والجمال"[٧] لكن بفعل التغريب، وفي ظل الواقع المنفتح للمعرفة ، وتصاعد وتيرة الغزو الفكري، وكثرة مقلديه، وتأخرنا الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، وقع ما حذر منه العقاد وغيره، وأصبح نقدنا كرجع الصدى للنقد الغربي الوافد ، وتولى كبر هذا الأمر بعض الأدباء والنقاد المنبهرين بثقافة الأخر، تحت شعار تجديد الأدب وتحديثه ،ودعوى عالمية الفكر بوصفه جهدا أنسان يتجاوز الهوية والدين واللون . وحتما في ظل هذا المعطى أن تحصل– بقدر ما– قطيعة معرفية بين الأدب والنقد الحديث وبين جذورهما العربية والإسلامية ، اللذان يمثلان ركيزة مهمة من الركائز التي تشكل هوية الأمة [٨] . ومما عمق هذه الهوة جهل أنصار التغريب بالتراث ، وشكهم في قوة الأمة الروحية والفكرية ، فوقفوا كالأقزام أمام المارد العملاق مأسورين بما وصل إليه الغربيون من تقدم مادي وصناعي، فأرادوا

إتباع السبل التي اتخذوها، ومحاكاة الوسائل التي استعملوها، بوصفها ترياقا مجربا ودواءَ صالحا يمكن إعادته واستنساخه ، متجاهلين – عن قصد أو دون قصد – الخصوصية الثقافية والفكرية والاجتماعية والروحية للأمة ، فاضطربت عندهم المفاهيم وطاشت بهم الموازين، وانقلبت الأمور، فصار التخلص من كل ما يمت للتراث والدين بصلة هو السبيل ، والتحرر من القيم والأخلاق والمثل هو الحل ، لإعادة الحرية المسلوبة في زعمهم .[٩] ولم يكن المجال النقدي بمنأى عن هذه الملابسات بل لعله أكثرها تأثرا ، وأشدها اضطرابا ؛ لأن الباب فيه مفتوح لاجتهادات فردية لا ضابط لها، هذا بغض النظر عن تدفق سيل من النظريات المتقابلة والمتشابكة الى الحقل النقدي والثقافي العربي ، والتي تبدو أغلبها مفروضة على واقعنا الثقافي وليست نابعة من داخله. ويمكن ربط هذه المسألة بما يسميه عبد الله العروي بـ "التكوين المجرد" للمثقف، وهذا التكوين هو الذي يجعله – كما يشرح العروي – "يميل إلى اعتناق أي مذهب يظهر في السوق. بصورة انتقائية لا تمثل ظاهرة انفتاح وتوازن بقدر ما تشير إلى استقلال المثقف عن مجتمعه وعدم تأثيره فيه" [١٠] . وبعد عقود خلت من اتصالنا بالثقافة الغربية عموما وبالمنجز النقدي الغربي خصوصا صار من المنطقي ان نسأل أنفسنا هذه الاسئلة :-

لماذا لم نفلح في بلورة تصور نقدي واضح الملامح على الرغم من تمَثلنا للمناهج النقدية الغربية، ولاسيما أنها أثبتت جدواها في بيئتها الأصلية؟. وهل حقق الناقد المتأثر بالغرب ونظرياته طموحاته على مستوى التنظير والتطبيق؟ هل يصلح استنساخ المذاهب النقدية الوافدة وتطبيقها على واقعنا النقدي العربي؟ ما حدود الانتفاع من المنجز النقدي الغربي؟ وأخيرا : هل يعاني نقدنا من أزمة على مستوى هويته وخصوصيته ؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بُدَّ أن نتعرف إلى ماهية هذه المناهج والمذاهب ، والظروف التي نشأت فيها، ونقاط ضعفها ومواطن قوتها، ولا نرجو من يراد هذه الموضوعات إلا غرضين اساسيين هما: ايفائها بالإجابة عن الاسئلة التي مر ذكرها. وثاني الغرضين الانتفاع منها في توسيع آفاق بصيرتنا ولرفد جهدنا النقدي بجهد نقدي ضروري، ولنضمن لنقدنا سمة التجدد والبقاء، ومواكبة التطور، في الوقت الذي نحصن نقدنا أيضا من الآثار الضالة والمنحرفة والتصورات الخاطئة التي تصادم معتقداتنا وقيمنا وتراثنا.

مسرد تاريخيّ:

يكاد يجمع النقاد أن المذاهب الأدبية تعني: "الاتجاه الذي تسلكه مجموعة كبيرة من الأدباء في عملية الإبداع الفني، فتأتي كتاباتهم متشابهة في الخصائص والسمات العامة. وتتسم المذاهب الأدبية بأنها وليدة ظروف معينة، وخلاصة عوامل محيطة اجتماعية وثقافية" [١١]، وهي تعني عند العلماء:" مجموعة من الآراء والنظريات العلمية أرتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة

متجانسة"[١٢] أو هي ":اتجاه في التعبير الأدبي يتميز بصفات خاصة ويتجلى في مظهر واضح من التطور الفكري، وهي وليدة ما يضطرب في عصر بعينه من تغيرات وتحولات في أوضاع المجتمع وطابع الحياة " [١٣] ويبدو من خلال هذه التعاريف أن هذه المذاهب الأدبية الغربية ليست نشاطا معرفيا محايدا ، وهي ليست مجرد أفكار ونظريات في الأدب واللغة والنقد، ولكنها تمثل فلسفات فكرية ، وتصورات عقدية عن الكون والإنسان والحياة ، وارتبط ظهورها بعوامل اجتماعية وفكرية واقتصادية وحيثيات بيئية شجعتها على الاتساع والانتشار والتعدد في حدود زمنية واطر مكانية [١٤] ، إذ هزت أوربا في القرن الخامس عشر نهضة شاملة – بعد قرون من السبات والجمود– فرضت على الناس أن يقتبسوا من الأدبين الإغريقي والروماني مقاييسهما الفنية وطرائقهما في التعبير والإنشاء، هذا فضلا عن تغيير البنية الاجتماعية ، وظهور طبقة جديدة تتسم بالاستقلال في أنظمتها سُميت بالطبقة الارستقراطية [١٥]، التي أمنت بالعقل وأسندت له مهمة التوجيه والإشراف والحكم في ميادين الحياة كلها ،ومما زاد في تثبيت جذر هذا الاعتقاد ظهور فلسفة (كانت)المثالية التي تعد امتدادا لفلسفة أفلاطون. وكرد فعل لتطرف الكلاسيكية نتيجة لتبنيها الجانب العقلي والتزامها المثالية والتقليد، ظهرت الرومانسية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، فدعت إلى إبعاد المقاييس العقلية ومقولاتها عن حقل الأدب، والعناية بتصوير الطبيعة واستلهامها والثورة على التقاليد السائدة، كما أطلقت العنان للذات دون أن تجعل لذلك ضوابط ومعايير، ورفعت شعار الفن للفن دون أن تجعل للأدب والحياة رسالة تذكر وهدفا ينشد ، فتطرفت هي الأخرى لتفسح المجال للمذهب الواقعي المدعوم بتيارات فلسفية جديدة أسهمت في تغيير مفهوم الأدب والفن، ونادت بضرورة رفض المعايير القديمة والإطاحة بالنظام الطبقي، وإحلال النظام الاجتماعي الاشتراكي محلها، واتجهت صوب الموضوعية ورفضت الموقف الفردي الذاتي، ساعدها على ذلك المنهج التجريبي والتقدم العلمي الذي يرتكز على الموضوعية والواقعية، ويرفض التفسيرات المثالية غير الواقعية، فكان لابد للأدب أن يتأثر بهذه التصورات والتفسيرات[١٦].

وانقسمت الواقعية إلى واقعيات عدة منها:–النقدية والاشتراكية –لكنها في عمومها لم تصمد أمام موجات النقد المتواصل ؛ لكثرة المؤاخذات الموجه إليها كاعتمادها المضمون دون الشكل، وفرضها لهذا المضمون بصورة قسرية تحت مسمى الالتزام مما قتل روح الإبداع ، وشل الحركة الفنية الأصيلة ، وكبت الدوافع الذاتية ،وحول الأدب إلى مادة كتابية جافة لا روح فيها ،وصير الأديب عالما يعنى بعلم الاجتماع وشؤون السياسة . وقد نفى الأدب الواقعي في أغلب أشكاله القضايا الروحية والعقائدية المتعلقة بالذات الإلهية والغاية من بعث الأنبياء والرسل ؛ لأنها لا تنسجم مع فلسفة الواقعية التي ترفض القيم والمثل والأخلاق كونها لا تملك رصيدا من الإدراك الحسي الواقعي، بل راح المذهب الواقعي يسفه مثل هذه التصورات ، ويحملها مسؤولية التخلف العلمي

والفكري، ويدعو صراحة إلى هدم هذه العوائق والحواجز ؛ ليتحول العالم على يد الواقعية إلى كتلة من المادة ، ويتحول الإنسان إلى آلة منزوعة الحس والروح والخلق والدين [١٧] ، أُقحم بتأثير هذه النظرة في حروب عالمية زعزعت قناعاته بالواقعية وما تدعو إليه ، فكانت الساحة الفكرية مفتوحة أمام مذهب جديد أفاد كثيرا من منجزات المذهب الرومانسي ألا وهو المذهب الرمزي الذي تأثر بمجموعة من الدواعي النفسية أبرزها حب الإغراب والتعقيد من اجل التعقيد، والخروج من كل طرح واقعي مباشر، وكراهة الوضوح والبساطة ، وقد يكون جنوحها هذا هو الذي أجهز عليها ودك عروشها ؛ لتفسح المجال لمذاهب أدبية أخرى بالظهور كالمذهب السريالي الذي يعد ثورة تحاول تقويض دعائم المذاهب السابقة كلها بوصفها انعكاسا للواقع –الحالي–السيئ– ؛لذا فهي تنشأ أشكالا ونماذج جديدة لا تستند إلى قواعد أو أصول ،وهي بهذه الدعوة تنادي من التحرر المطلق من كل القيود والرفض الا مشروط لموازين الناس وأحكامهم ومقدساتهم ، وللفنان أن يعبر عن عقله الباطني دون تحفظ غير مبال بما يكون فلا اعتبار لما كان متواضعا عليه من قبل للتميز بين خطأ أو صواب بين حلم ويقظة بين عقل وجنون، ولا قيمة للتناسق في إخراج العمل الفني أيضا [١٨] [١٩] [٢٠] ولا قيمة للقيم والثوابت والأخلاق والعقائد. هذا وقد أرتبط بهذه المذاهب الأدبية الكبرى فروع ملحقة بها مثل الماركسية واللبرالية والوضعية والوجودية والبنيوية والتفكيكية والسيمائية.[٢١]

واتجه قسم من هذه النظريات والمناهج الى الإفادة من العلم في تطوير آليته وأساليب نظره وتحليله، وانتقل بالنقد إلى مواقع متقدمة لم يصلها من قبل؛ مما أبهر النقاد العرب الذين اقبلوا على هذا المناهج بنهم وشراهة ،دون الالتفات الى أن النجاح الذي حققته هذه المناهج في بيئتها الأصلية" كان يدين على الدوام لمن يوظف اساليب العلم ويطبقها على واقع النص ؛لان ثمة فرق واضح وجلي بين الافادة من العلوم في ميدان النقد لتقوية بصيرته وبين اغراقه منهجيا الى حد تشويه حقيقته وطمس معالم هويته ، فضلا على ان قوانين العلم كثيرا ما تعجز عن الوصول الى مواطن الجمال في طبقات النص الادبي، فالنقد يظل مهما حاول الاقتراب من العلم معرفة ناقصة تمزج بين العلم والفن، وتعتمد وسائل الحدس والتخمين والتأويل من دون ان تستطيع بلوغ يقين العلم على حد قول الدكتور مصطفى ناصف " [٢٢]

لكن قراءة أخرى لهذه المذاهب والمناهج والنظريات من منظور أخر لن يغمط حقها فيما حققته من تواصليه مع تطور حركة الادب والحياة والعلم ، وما صور تغيير جلدها وتقلباتها الا علامة على استجابتها وقابليتها للتجدد والتطور بالتناغم مع ايقاع الحياة المتذبذب والمتسارع ، فكانت بحق استجابة عفوية للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفكرية للواقع الذي انبثقت منه. فالمناهج الاجتماعية والتاريخية والنفسية والايدلوجية والبنائية افادت بصور

متفاوتة من علم النفس والاجتماع وعلم اللغة والنظريات العلمية، وما يأخذ على مناهجها من انشطار داخل المنهج الواحد كما حصل مع البنيوية مثلا– ربما يمكن أن يفسر على أنه حالة من الثراء الفكري ،كما يؤكد في الوقت نفسه سعة امتداد هذا المنهج وصلاحيته. وربما يعكس تعدد الاجناس الادبية الغربية وارتفاع مستواها الابداعي حالة الوعي النقدي المسؤول عن تقويم هذه الاجناس. ثم أن هذه المناهج لم تطرح نفسها مطلقا بصورة مثالية فبحسب أكثر من ناقد وباحث غربي أن هناك ازمة في النقد الغربي ،كما أن منظريها لم يقولوا يوما بعالمية مناهجهم وصلاحية تطبيقها على أداب الامم كلها. وما يعتري النظريات الغربية من صور الالحاد والشك وهدم للفضائل والاخلاق ليس من ابتداع هذه النظريات والمناهج وانما هي جزء من منظومة الفكر الغربي التي تنطلق منها هذه المناهج فهي انعكاس لمجمل الحياة الغربية . ومن ثم فأن رفضنا لها يمثل موقفا خارجيا مفروضا عليها لن يؤثر فيها مطلقا ، لاسيما ان واقعنا الراهن سولف لن يعاضد موقفنا الرافض. ولن نكشف سذاجة الحياة الغربية وخوائها في جوانبها الايمانية والروحية والفكرية مالم نعمد الى صياغة البديل .

نتائج التأثر:

بعد هذا العرض الموجز للمذاهب الأدبية الغربية يمكن أن نقرر مجموعة من الاحكام فيما يتصل بالمذاهب الغربية ،وتأثيرها في نقدنا الأدبي الحديث في ،محاولة للإجابة عن الاسئلة التي طرحت سابقا، وعلى النحو الآتي:

–إن المذاهب الأدبية الغربية تتصل اتصالا جذريا بالمذاهب الفكرية الاعتقادية والايدولوجيات ، والفلسفات ذات المفاهيم الفكرية الوثنية أو الإلحادية أو الوضعية ؛ لذا لا يمكن التسليم بكل ما تطرحه دون تمحيص.

–إن التأثر بالمذاهب الأدبية الغربية ، والاحتكاك بالفكر الغربي لم يكن سلبيا كله – على مستوى الأدب ونقده – "إذ تعرف أدبنا على أجناس أدبية جديدة نشأت مع حركة النهضة الأوربية، أو تطورت في سياقها ، وتتمثل في الرواية والمسرحية النثرية والشعرية والمقالة والسيرة الذاتية، وأدب الأطفال والأدب المقارن" [٢٣]

– الخطاب النقدي المتأثر بالمناهج الغربية ، لم يكن شرا مستطيرا في عمومه ، بل هناك محاولات محدودة استطاعت أن تتجاوز محنة التبعية والتقليد الأعمى ، لكن هذه المحاولات لم تستطع على مستوى التنظير والممارسة أن تقدم تصورا نقديا موحدا واضح الملامح يحفظ لنا شخصيتنا وهويتنا الثقافية والفكرية .أما محاولة البعض التهوين من شأن هذه الأزمة فلا مبرر له ؛ لان الأزمة ليست أزمة مصطلح أو ترجمة – كما يظن البعض– بل هي أزمة واقعين ثقافيين وحضارتين مختلفتين أزمة فكر بالدرجة الأولى [٢٤] .

–أدت المبالغة في تقليد المذاهب الأدبية الغربية دون بصيرة إلى غياب المنهج السليم والرؤية الصائبة ، فالمتأثرون بالريح الغربية بكافة أشكالها وتياراتها ليس لهم أصول محددة ، أو مدارس ثابتة [٢٥] .وتأسيسا على هذا الحكم فأن ساحتنا الأدبية والنقدية لم تعرف إلى الآن، مذهبا أدبيا أو منهجا نقديا أصيلا يعبر عن هويتنا ويتفق ومقومات ديننا وحضارتنا؛ لتبقى منظومتنا الفكرية والأدبية والنقدية الحديثة تعاني من شرور التبعية وآفات التقليد الأعمى .

– "إن موقف الأدب العربي ونقده من هذه المذاهب الغربية ينبغي أن يكون – شأن موقفه من الفكر الغربي عامة – موقف اصطفاء واختيار ، أن يستفيد منها لا أن يقلدها ، أن يعرضها على ميزان عقيدته ولغته وذوقه ، فما أتفق معها أخذه ، وما تناقض معها رفضه ، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق ، ففي هذه المذاهب بعض ما يصلح لنا ، ولكن فيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر ، ويتناقض مع تصوراتنا العقدية ، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون " [٢٦] [٢٧] [٢٨] وننطلق بذلك من مسلمة لا يحسن الجدل حولها ترى ان انتقال الافكار والنظريات والاشكال من فضاء لغوي وثقافي الى أخر تمثل ظاهرة إيجابية إذ عادة ما تتغذى الحياة الثقافية والفكرية على دورة الافكار هذه، وتستمد منها اسباب الحياة والبقاء كما يقول الباحث إدوارد سعيد [٢٩] لكن الاتفاق على هذا المبدأ لا ينفي ضرورة اخضاع هذه النظريات للبحث المعمق الذي يكشف ان النتائج الايجابية ليست دائما مضمونة سلفا في الاحوال كلها .فالأفكار والنظريات الاصيلة قد تتعرض للاختزال والتشويه في سيرورة انتقالها من فضاء الى اخر بحيث تصبح مختلفة تماما بالنسبة لقضية اخرى او موقف اخر .كما ان هناك اشكاليات تنتج عند محاولة تطبيق هذه النظريات بشكل آلي في سياق تاريخي واجتماعي يختلف عن سياقها الاصلي [٣٠]، وثمة اشكالية اخرى تتعلق بطبيعة النظرية النقدية الغربية التي تصدر عن اطروحات واجتهادات انجزها باحثون ونقاد من لغات متباينة وفي أزمنة وأمكنة مختلفة ،مما جعل ناظمها الاساسي والاهم هي كونها منغلقة على النظرية الغربية حصرا، وهذا الانغلاق متولد عما يعرف بنزعة المركزية الثقافية العرقية في الحضارة الغربية [٣١]، وهذه السمة تجعل مجال التأثر الفعال بهذه النظريات محدودا جدا، وتتطلب منا حذرا في حالة الافادة من المنجز النقدي الغربي.

– إن المذاهب الأدبية الغربية نتاج ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية وفكرية مرت بها أوربا ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال اجتثاثها من منظومتها المعرفية وأسسها الفكرية وأعرافها التاريخية و غرسها في رحم الثقافة العربية بدعوى المثاقفة والحوار وعالمية المعرفة ،ولا يمكن إسقاط الواقع الغربي بكل ملابساته على الواقع العربي والإسلامي ؛ للتباين الحاصل بين الواقعين على أكثر من صعيد ،وأن أي محاولة لاستيراد هذه المذاهب ، والتعسف في استعمالها على مستوى التنظير والتطبيق يعد هدرا للوقت وتضييعا للجهد، وإلغاء لهوية الأمة وتمييعا لخصوصيتها وذاتها ، ولن

يفلح التقليد الأعمى في بلورة منجز نقدي عربي مستقل مميز –باستثناء بعض المحاولات اليتيمة– وهذا الحكم ليس حدسا أو تخمينا فالمسار التاريخي يصدقه ، ويشهد له "فمنذ الخمسينيات بدأ اجتلاب المذاهب الأدبية والنقدية دون تمثلها أو هضمها كالوجودية والماركسية والاشتراكية ،وحوكم كثير من نصوص الأدب العربي وفق معايير نقدية خارجية بتأثير هذه التبعية" [٣٢] ولم يكن عقد السبعينيات والثمانينيات أحسن حالا من سابقها إذ استجدت ظواهر أخرى للتبعية النقدية كان من أهمها :"الارتهان المطلق للمرجعية الغربية في نقل المذاهب النقدية ، و غالبا ما يتم نقلها بعد تراجعها في الغرب كما هو الحال مع البنيوية أو دون هضمها أو بيان صلاحيتها كم هو الشأن مع الشكلانية والشعرية والسردية والسيمائية والعلائقية والتفكيكية " [٣٣] وصار المعيار الأمثل للناقد أن يحذو حذو النقد الغربي ، ويقتفي منهج جينيت وغريماس وتود وروف ودريدا وهارتمان أو لا يكتب نقدا ، ناهيك عن تحول أغلب النقد المعاصر إلى جداول إحصائية وأرقام رياضية ومعادلات حسابية وأشكال هندسية ، وكتابات ملغزة أشبه بالمتاهة والتجريب الذي لا طائل منه ، "وبدا الفكر النقدي استنساخاً لاتجاهات نبتت في تربتها في صورة متجادلة متوالدة متناسلة، لكن ناقليها لا يفرقون في الأغلب بين الفروق الدقيقة وحتى الواضحة، بين الأسس المعرفية والفلسفية التي قامت عليها. وبات النقاد متعصبين لهذه المناهج دون أن ينظروا في الصلات الجوهرية بين المناهج والقواسم المشتركة بينها." [٣٤] وهذا ليس طعنا في هؤلاء النقاد ولا في المناهج التي تبنوها؟ ولكنه توصيف للتبعية السلبية التي تبناها المقلدون. –

– وفي ظل هذا المناخ لم تفلح الجهود النقدية في صياغة نظرية متكاملة على مستوى الفكر أو الأدب .واذا ما دلفنا إلى صورة الخطاب النقدي وجدناه نقدا مأزوما نبع من ثقافة مأزومة، فرغم الضجيج والثرثرة الإعلامية التي كانت تثار حول أصحابه ممن امتلأت مناهجهم النقدية بروح النخبة وتمايزت بشعور الاستعلاء إلا أنهم كانوا يكتبون نقدا يتحير فيه المتلقي ، فلا يستطيع رده إلى علم منضبط الأصول والإجراءات ، ولا يستطيع رده إلى مذهب نقدي بعينه نتيجة لانقطاع الصلة بين الموقف النقدي والموقف الاجتماعي ، والشاهد على هذا التخبط والاضطراب والغرابة الخطاب النقدي الجديد (نقد الحداثة) [٣٥] وهذا الحكم العام يستثني بعض الاعمال النقدية الجيدة في مشرق الوطن العربي ومغربة

ثانياً/ لـغة الخطاب النـقدي(غموض اللغة وفوضى المصطلح):

بدأت لغة الخطاب النقد العربي بسيطة لا تعدو أحكاما موجزة سريعة تتسم بـ"الإيجاز والتركيز ولاكتفاء باللمحة الدالة والإشارة المقتضبة "[٣٦] وليس في هذه اللغة وجود لتحليل أو تعليل ، أو مداخلة لعملية وصف في إطارها المحدود ، فهي لا تتجاوز التفوهات النقدية التي تستعجل الحكم وتقرره ، ولكنها قبل كل شيء استجابة عفوية صادقة ، لذلك تعد حكما نقديا [٣٧] ثم تطورت لغة

النقد مع ظهور الإسلام ، في ضوء الوعي الديني والعقائدي ، ونظرة الإسلام للإبداع الشعري ، والملاحظ أن الممارسات النقدية –على قلتها– في هذا العصر تأثرت بالمعيار الديني كثيرا مما دعا إلى ظهور كثير من المفردات الجديدة في لغة الأحكام النقدية .ومع بداية التأليف المنهجي في القرن الثالث الهجري بدت المحاولات النقدية أكثر منهجية واستقرارا بعد ظروف ألمت بالنقد فأثرت في قضاياه ، ورافق ذلك تطور في الرؤية النقدية، مما جعل لغة النقد تتجاوز أطرها السابقة في كونها جملا محددة إلى أن تتحول إلى ما يشبه الفكر النقدي التأصيلي ، فبدت لغة النقد واضحة ملموسة ، استطاعت في القرن الرابع الهجري أن تكون لغة متخصصة تستوعب النشاط الإنساني في أكثر خصوصياته عمقا وغنى ، حيث ارتبطت هذه اللغة بمستوياتها (الوصفي والمعياري)[٣٨] وبالرغم تأثر اللغة النقدية بالنزعة الفلسفية في هذا القرن ، والقرون التي تلته إلا أن هذا التأثر لم يسلب لغة النقد الوضوح والتميز، ويوصلها إلى الغموض الذي وصلت إليه في كتابات النقد المعاصر، بفعل دعوات عالمية عديدة تطالب بأن ترتفع الكتابة النقدية إلى مصاف الكتابة الإبداعية، بوصف النص النقدي هو أيضاً نص إبداعي، وليس مجرد نص شارح على هامش النص الإبداعي، فالعلاقة التي تربط النص النقدي بالعمل الأدبي ليست علاقة انصياع وخضوع تتطلب من الناقد أن يتابع ويشرح ويعلن عن النصوص، بل إن الناقد يستغل النصوص مناسبةً لكتابة نص إبداعي مجاور وعلى النقد أن يعيش على الكتابة الإبداعية، لا أن يعيش منها [٣٩]، إن هذه الدعوة لكتابة النقد بلغة إبداعية قد طرحها بشدّة "بارت" و "دريدا" وتابعهم فيما بعد بعض النقاد العرب، إذ تقوم فكرتها على انتقال لغة النقد من "اللغة الثانية" إلى "اللغة الأولى" لغة الأدب، وبهذه اللحظة يصير النقد نصاً مفتوحاً قابلاً للقراءة، والتفكيك يمتزج فيه التشويق بالغواية، والعلم بالأدب[٤٠] [٤١] ، ومثلما تبنى النقاد الغربيون تلك الدعوات، لم يكن النقاد العرب بمنأى عنها فأسهموا بكتابة نص نقدي فيه من السمات الإبداعية أكثر من السمات العلمية، ودعوا إلى المزاوجة بين النظرية والتطبيق حتى يصل النقد المعاصر إلى مرحلة التناغم المنسجم الذي يصل إلى درجة الإبداع، فإن لم يرق إلى هذه المنزلة، فهو محض شرح مدرسي عقيم [٤٢]، وعلى هذا يكون اختيار الغموض والمراوغة على مستوى لغة النقد اختيارا مقصودا وفعلا متعمدا مرده أن" تلفت لغة النقد النظر إلى نفسها"[٤٣] بوصف الغموض "أحد الخصائص الجوهرية للحداثة" [٤٤] ويسمى هذا الغموض عندهم تعدد الاحتمالات او اللبس الدلالي[٤٥] انطلاقا من فلسفتهم لوظيفة اللغة ولوظيفة الكتابة فهي لا تشير الى معنى محدد وانما توحي بالمعنى ايحاء ،وكل انسان يفسرها بما يشاء ،ومن اجل هذا تبدو عندهم أزلية لا تنتهي بانتهاء الشاعر من انشائها [٤٦]. ويبررون ذلك الغموض باتهام عقل القارئ العربي بأنه لا يزال وفق آليات ومنطقيات غير قادرة على استيعاب المصطلحات والمناهج النقدية التي يبثونها في دراستهم النقدية ، إذ الكتابة العالية لا تتوجه إلى جمهور شعبي

من القراء ، بل تستهدف النخبة المثقفة القادرة على قراءة هذا النوع من الكتابة [٤٧] . هذه صورة النقد على مستوى لغته فثمة انزياحا وظيفيا بين نقد يقرب النص من القارئ ويكشف ما خفي من اسرار جمالية وقضايا ابداعية ونقد يتعالى على القارئ ويعفي نفسه من أي التزام اتجاه القارئ فوظيفته الوحيدة ان يبقى مبهما قد يفوق اكثر النصوص تعقيدا وابهاما. ومن وجهة نظر احد النقاد ان اصحاب هذا اللون من الكتابة النقدية لم يسألوا أنفسهم عن السبب الذي يجعل ظاهرة معينة شعبية جماهيرية مثل اللغة لا تتداوله إلا النخبة. ربما يكون السبب حضارة بَشَمت بمنجزاتها فأدّت بمجموعة أو نخبة إلى تبني شكل معين يناسب ذوقها وينسجم مع لحظتها المترفة، ولكن حضارة تصارع من أجل الحرية والعدالة والقيم الإنسانية والرغيف في حاجة إلى أن يقترن الجمالي بالحياتي والفكري بالواقعي، ليكون النص أكثر شعبية وجماهيرية، وليس صحيحاً أن الأدب استنفد أغراضه في بيئتنا العربية، بل الأدق أن عالم اليوم ولاسيما ما استجد في منظومة الاتصالات الحديثة والإعلام الرقمي، يحتاج إلى جرأة حقيقية من النقاد في رفض أدب الطلاسم ،واللغة المتعالية لكتابة نصوص تحتكم إلى لغة الأدب بكل خصوصيتها، ويمكن قراءتها وتأويلها وتفسيرها؛ لتنهض بذوق القارئ وفكره وخبرته وتجربته، ولا تصبح مجرد صيحة في واد، وليس ممكناً ان نقبل أن يكون الشعر مثلاً صدى لعالم داخلي وحسب، ليس له صلة بالحياة أو الواقع.[٤٨]

لكن الذي يثيره هذا النقد الموجهة للغة النقد بحاجة الى مزيد ايضاح فما هو المستوى المطلوب من هذه اللغة كي تنفي عن نفسها تهمة الغموض واللبس ؟هل المطلوب من النقاد ان يكتبوا وصفا سطحيا للنص يفهمه الجميع وعامة الدهماء حتى وان كان بين هؤلاء معدومو الثقافة وغير مختصين؟!!! أليس من المفروض أن تكون لكل ذي اختصاص لغته ومفرداته الخاصة فيكون لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما كما يقول الجاحظ [٤٩] [*]. ربما ليس مقصود معارضي هذا اللون من الكتابة النقدية ان ترتكس لغة النقد فجاجة ومباشرة الى حد الابتذال بحجة انها لغة لكل الجمهور ، إذ ليس في مقدورها ذلك فهي بحاجة الى استعمال بعض المصطلحات النقدية الخاصة لاسيما مع تبني المناهج المعاصرة التي اسبغت على نفسها صفتي الموضوعية والعلمية من خلال التوسل بجملة من الجداول والمخططات والرسوم والارقام والاحصاءات ، التي صارت معها لغة النقد عسيرة على القارئ المختص ،فضلا عن القارئ الاعتيادي نتيجة الالتزام بإجراءات هذه المناهج ،لكن سمة التعقيد النابعة من خصوصية هذه المناهج تستلزم بالمقابل بسطا

[*] ويقول الجاحظ في هذا السياق ايضا: أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة. البيان والتبيين–ج١– ص١٥٤.

وشرحا من قبل الناقد لا ان تواجه بتوعر وتعقيد اخر متعمد على مستوى اللغة، فعلى الناقد في مثل هذه الحال ان يوفق بين خصوصية اللغة النقدية وبين تلاشيها وابتذالها، بين قصرها على النخبة، وبين بسطها كل البسط على الجمهور دون حاجة، بين مخاطبة العامة ومخاطبة الخاصة كما يوصي الجاحظ اصحاب البيان ،فليس الهدف ان تكتب لطبقة دون اخرى وليس الغموض بأمرد مقصود بحجة ان تلفت لغة النقد النظر الى نفسها كما يرى دعاتها ،فمدار النجاح الصواب وإحراز المنفعة، والكشف عن جمالية النص بلغة "لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الاكفاء،[٥٠] " وفق هذا المنظور يتحقق التوازن ،فلا يضرب القارئ صفحا عن الكتابة النقدية وقراءتها التي بات تعيش في قُمقم النخبة، وكأنها امر طارئ او تقليعة معرفية (موضة) سوف تتلاشى كما تتلاشى الكثير من الاشياء العارضة في عادات الناس وسلوكهم ،ولا اظن أن اصحابها يريدون لها ذلك ولا نحن كذلك، فاللغة سلاح ماض بيد الناقد [*] لا يمكن التخلي عنها مطلقا في عصر بات العزوف عن القراءة بكل اشكالها يعد اكبر تحد تمر به الثقافة فليس لنا من الامر شيء في تجاوز هذه الازمة الا ان نقرب هذه اللغة الى العامة والجمهور[**] دون تفريط بشيء من خصائص اللغة او شروط النقد، فمن جميل اعترافنا بأهمية ما وصل اليه النقد من تطور بسط لغته لا الاتجاه بها صوب الغموض والتعقيد كما يتضح في كتب نقد النقد التي اخذت تنقل نصوصا كاملة تبين عوار هذه اللغة النقدية الجديدة، وتهافت الحجج التي يستند عليها اصحاب هذا اللون من الكتابة، إذ يكشف عبد العزيز حمودة في ثلاثيته –مثلا–حجم الازمة التي يعانيها النقد على مستوى لغته ،فينقل نصوصا نقديا كثيرة من بينها نص للناقد والباحث عبد الرحمن بسيسو من دراسة بعنوان (قراءة النص في ضوء علاقته بالنصوص المصادر–قصيدة القناع انموذجا) فيقول: تعود محاولة تعرف دوافع التقنع في القصيدة العربية إلى الأطلال على شبكة المتناقضات التي تتخلل الواقع العربي مكبوحة عن التفاعل والى تعرف طبيعة العلاقة القائمة بين الشاعر من جهة وواقعة الاجتماعي والتاريخي وذاته والشعر من جهة ثانية وذلك على اعتبار أن موقف الشاعر المتوجة نحو اختراق

---

[*] ظل بعض شباب الجيل يعكف على قراءة كتب طه حسين لأنه كان يملك لغة تجمع ما بين السهولة والامتناع ولغته نسيج وحدها واسلوبه اسر بغير رهط او تكلف او ابتذال . بالرغم تحذيرات بعض المخلصين من الشطط والزلل في افكاره

[**] ولا نقصد بالجمهور والعامة طبقة الجهال وانما نعني القارئ المتذوق فقديما قال الجاحظ : وإذا سمعتموني أذكر العوامّ فإني لست أعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة، ولست أعني أيضا الأكراد في الجبال. وسكان الجزائر في البحار، ولست أعني من الأمم مثل الببر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأشباه الزنج. وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع: العرب، وفارس، والهند، والروم. والباقون همج وأشباه الهمج. وأما العوام= =من أهل ملتنا ودعوتنا، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا. على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضا. البيان والتبيين –ج١–ص١٢٣

شبكة المتناقضات لفك كوابحها وتفعيلها ...فأن هذه الشبكة تنهض بدورها على شبكة دوافع متضافرة ومتفاعلة تتبع من قراءة الشاعر المسكون بموقف كياني حداثي نسيج شبكة المتناقضات ومن اكتشاف علاقاتها الممكنة بغية تفعيلها وفتح أقطابها المتناقضة على جدل حر مفتوح يفضي إلى تجديد الذات والشعر والمجتمع) ويحاول عبد العزيز حمودة أن يترجم النص ترجمة تقريبية مستبعدا أن يكون الغموض في نص بسيسو يعود إلى سوء الفهم ، ويؤكد أيضا أن هذا الغموض في لغة النقد غموض متعمد، وإلا فالنص لا يعدو معناه غير الاتي :إن دوافع استخدام القناع تنبع من أدراك الشاعر للتناقضات في المجتمع ورغبته في الكشف عن هذه التناقضات ، وفضحها عن طريق خلق كيان شعري يتم فيه تفعيل ، أو تحرير هذه التناقضات وهو في ذلك يلجأ إلى عملية إسقاط هربا من قهر السلطة) [٥١] وينقل الناقد نصوصا كثيرة تبين حالة الغموض التي تكتنف لغة النقد المعاصر [*] .

وربما يقتضي المقام هنا ونحن نشخص واقع لغة النقد الاهتمام بالمصطلح النقدي وإشكالاته التي غالبا ما تنشأ عن سوء الترجمة أوعن سوء الفهم او عنهما معا ،أو نتيجة لعدم تخصص المترجم في مادة النقد الادبي، أو لتشتت عملية الترجمة، فهي ثمرة جهود فردية في الغالب وليست جماعية، الأمر الذي ينتج عنها تعدد الترجمات واختلافها للنص الواحد. بيد أن أخطر ما تعاني منه الترجمة العربية الراهنة للمفهوم الغربي، هو عدم الالتفات إلى تحيزات المفاهيم الغربية، فكثير من المترجمين والنقاد العرب لا يؤمنون بتحيز المفاهيم الغربية المترجمة ويعتقدون بأن هذه المفاهيم كونية وعالمية متعالية عن الزمان والمكان ،وعن أي خصوصية تاريخية وحضارية، وأنها لا صلة لها بأي مضمون فلسفي أو عقيدة دينية،[٥٢]. وقد تنبه بعض النقاد والدارسين العرب، الى هذه الغفلة وفي مقدمتهم عبد الوهاب المسيري وسعد البازعي وعبد العزيز حمودة. فقد أكد المسيري، تحيز المفاهيم الغربية وارتباطها بمعجمها الحضاري وسياقها التاريخي الذي نشأت فيه مؤكدا في الوقت نفسه خفاء وتواري هذه التحيزات ؛لأن " الخطاب الغربي يستخدم صورا مجازية كثيرة تخفي تحيزه فتبدو الرؤية الغربية للعالم كما لو كانت محايدة" ،[٥٣] ويؤكد البازعي ايضا التلازم المنهجي والفكري في النتاج الغربي "من حيث ان الفكر هو التشكيل المعرفي والمنظومة الادراكية التي يتكئ عليها المنهج ويتحيز لها"[٥٤] .

---

[*] ينظر : المرايا المحدبة والمرايا المقعرة ففيهما ينقل عبد العزيز حمودة الكثير من النصوص النقدية العربية التي تنطوي على غموض وتعقيد على مستوى الكتابة فيذكر مثلا نصين لجابر عصفور أحدهما قبل أن يتحول إلى مساره الحداثي وأخر بعده ، ويحاول أن يقارن بين النصين على مستوى لغة الكتابة النقدية ليثبت في نهاية المطاف أن هذا الغموض أمر مقصود.

لهذه الاسباب كلها عمد المترجم الى الترجمة الحرفية التي تنحرف عن الدلالة الحقيقية للمصطلح فنتج عن هذا الوهم الاصطلاحي اشكالية عميقة لاسيما حين يؤسس الناقد على هذا الوهم في المصطلح فرضية أو حكما او استنتاجا نقديا كما حصل لمفهوم اجنبي صدر مع كتاب دريدا (of Grammatology)الذي ترجم ترجمات عده منها (في النحوية) عند عبد الله الغذامي وعبد الملك مرتاض ،وترجمه سعد البازعي في بداية الأمر بـ"النحوية" مثلما فعل الغذامي ومرتاض، واعتبرها الترجمة الأقرب إلى حقيقة هذا المفهوم، وانتقد ترجمة بعض النقاد له بـ"علم الكتابة" قبل أن يعود في دراسة أخرى ليترجم هذا المفهوم بـ"علم الكتابة" ولكن دون أن يبرر هذه المرة لماذا عدل عن ترجمته الأولى. وما يضير– مع كل اللبس الحاصل– ليس الاضطراب حول المفهوم فقط ،بل إن هذه الترجمة الخاطئة قادت الغذامي إلى الاعتقاد بأن هذا المفهوم هو النظم عند عبد القاهر الجرجاني إذ يقول:" وفكرة (النحوية) تذكرنا بالإمام عبد القاهر الجرجاني ودعوته إلى (النظم) وهو تظافر بلاغيات الجملة مع نحوها لتأسيس جماليتها بعيدا عن قيد المدلولات. يبني الغذامي استنتاجه هذا مع إن ترجمة هذا المفهوم بـ"النحوية" ترجمة خاطئة إذ لا علاقة لهذا المفهوم بالنحو، بل المقصود به هو علم الكتابة التي كانت منحطة في التراث الفلسفي الغربي منذ سقراط إلى دي سوسير [٥٥] .

أما على صعيد تعدد المعاني للمصطلح الواحد والاضطراب والحيرة التي يولدها؛ فالأمر اشد وضوحا ، فمصطلح واحد مشهور مثل: (Déconstruction) يترجم بطرق مختلفة غير مترادفه فتعطي كل ترجمة معنى مغايرا للأخر فبينما يقترح له الغذامي (التشريحية) ، نجد كاظم جهاد وعبد الله إبراهيم وعبد العزيز حمودة وفريد الزاهي ومحمد عناني وغيرهم يطلقون عليه مصطلح التفكيك أو التفكيكية. وثمة مصطلح ثالث اقترحه كل من سعد البازعي والناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، وهو مصطلح "التقويضية" أو "التقويض"، ويقترح عبد الوهاب المسيري ترجمته بـ"الانزلاقية"، رغم أنه يستعمل، غالبا، مصطلح التفكيك . وتبدو الصعوبة الى هنا ممكنة لكنها تتضاعف عندما نعلم أن هذا المفهوم منزلق ومنفلت من قبضة أي تحديد أو محاولة للتعريف حتى لدى منشئه، فالتفكيك لدى دريدا "ليس تحليلا analyse ولا نقدا critique"، وليس "منهجا ولا يمكن تحويله إلى منهج"، كما أنه "ليس حتى فعلا أو عملية" او تقويض او تشريح ، ليختم بالقول:" ما الذي لا يكون التفكيك؟ كل شيء! ما التفكيك؟ لا شيء!"[٥٦]

ثالثاً/ الذاتي والموضوعي في النقد:

الذاتية والموضوعية المتجاوزة صورة من صور غياب النظرية النقدية ، وحالة من حالات غياب الوعي بأهمية النقد ووظيفته ،وان بدا ان الذاتية بصورتها السلبية اشد فتكا في عضد النقد من الموضوعية، الى الحد الذي بات غريبا أن يُخشى من الموضوعية ، إلا ان تحول النقد في مراحله

الاخيرة الى ارقام ومعادلات وجداول احصائية ورسوم ومخططات، اضاف ازمة جديدة للنقد باسم الموضوعية والتمسك بالمعايير العلمية ، ودون وجود مبرر منهجي . وليس لغرض هنا اقصائهما من ميدان النقد ؛ لأن النقد يستمد حياته من الرافدين (الموضوعية و الذاتية)وانما الغرض الحذر من انحياز هذا الناقد إلى أحد الطرفين بصورة مبالغ فيها ؛لأسباب عدة منها : الرغبة في النيل من الخصوم الذين لم يستطيعوا أن يبلغوا مبلغهم من القوة والقدرة على الإبداع ، ويحققوا لأنفسهم ما حققوه من أسباب الشهرة وذيوع الصيت في بيئات الأدب وغيرها من البيئات السياسية والاجتماعية ،وصار النقد وفق هذا الافتراض "صورة للذاتية في أبشع صورها ،وأشنع حالاتها ،وأصبحت المجلات والمجالس الأدبية ،بل والكتب أيضا معرضا للهجاء المقذع والسباب الجارح الذي ينال من الأشخاص قبل أن يصل إلى موضوع النقد ، وهو أعمالهم الأدبية التي ينبغي أن تكون محور هذا النقد ...ويرى أثر ذلك في الكثير من المعارك التي شنتها أقلام الأدباء والنقاد ونال بها بعضهم من بعض"[٥٧] كالمعارك التي دارت بين عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي صاحب كتاب (على السفود) وهو مجموعة مقالات نقدية قاسية على العقاد وصفه بها بالشاعر "المراحيضي" من ذلك قوله "وفي ديوان هذا المراحيضي ابيات.... " [٥٨] هذا فضلا عن اتهامه بالسرقة والسطو. وكذلك تورط العقاد وطه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني ومحمد حسين هيكل في الحط من شاعرية أمير الشعراء احمد شوقي ونفوا عنه سمة الإبداع والشاعرية جملة وتفصيلا ، وهو تحامل على الشاعر باعثه ذاتي خالص ، وهو عار من الموضوعية، وخال من الإنصاف –كما يرى الدكتور بدوي طبانه– [٥٩] وهو –أيضا– سلاح للنيل من الخصوم والتشهير بهم بغية تحقيق الشهرة ولفت الأنظار أو الظهور بمظهر الجدة والحداثة ، وهو نتيجة للتأثر بالمناهج النقدية الغربية ورفض للقديم لمجرد قدمه ، و أيا كان الباعث فأن رائحة الذاتية السلبية ملأت الجو النقدي العربي المعاصر، لتشكل مع غيرها أزمة خانقة كادت تودي به، وكما أُتخذت الذاتية في النقد المعاصر سلاحا للنيل من الخصوم، والتشهير بهم والحط من أقدارهم اتخذت للتنويه والإشادة بالأنصار والأولياء ، ومن ثم "تخلى النقد عن منهجه في التقويم والتمييز وغايته من الإصابة في الأحكام، وأصبح مدحا أو قدحا أو مبالغة في الثناء والإطراء أو إسرافا في التشهير والتجريح." [٦٠] وقد صور الشاعر المعاصر مختار الوكيل هذه الذاتية وأثرها في النقد الأدبي بقوله عن النقد المعاصر: "انه ما يزال متأخرا فلا قواعد مضبوطة يسير على هديها ولا رغبة في خدمة الأدب خدمة بريئة من الأغراض ،وقد قرأنا كتبا في النقد ليست من النقد الأدبي في كثير أو قليل، وإنما هي معارض للسخائم والشتائم والأحقاد التي يجب على الناقد الأدبي الصحيح أن يترفع عنها " [٦١] وإن قسما من نقادنا أصيب بداء العظمة والعجب وظن نفسه عالما وغيره من الجاهلين ،عارفا وسواه من الحمقى ، فراح ينتقص منهم ومما كتبوه، وتحول النقد إلى ردود أفعال وانفعالات وأمزجة مغلفة بالذاتية

والأنانية ،وسجال وشجارات مما افقد الثقة في نفوس القراء و الأدباء وانعزل على اثر ذلك في دائرة ضيقة ، وقل تأثيره ، وعاش أزمة حقيقية دعت الكثير إلى بحث أسبابها تحت عنوان نقد النقد كما فعل العقاد وفؤاد دوارة وعبد القادر القط. وفي مقابل هذه الصورة الذاتية المتجاوزة، هناك صورة اخرى من النقد تدعي الموضوعية فتتجرد من التأثرية والانفعال بالنص وتحاول ان تنظر الى النص ككتلة جامدة بمعزل عن التأثيرات المحيطة بالنص الابداعي ، وصاحب الابداع كما لو انها بإزاء معادلة رياضية ليس للنفس البشرية فيها أي حظ من التأثر والانفعال. فصار النقد وفق هذا المنظور يحتكم الى الارقام والقياسات والمخططات التي لا تتوافق في جميع الاحيان مع فلسفة النص الابداعي الذي يأبى بما يمتلكه من خيال وعاطفة الخضوع لمثل هذه الموضوعية الجافة .

ولابد إن نشير هنا إلى قضيتين :الأولى– إن الذاتية مع اختلاف في دواعيها وأشكالها ، لم تكن وقفا على النقد المعاصر بل هي جزء من أزمة النقد العربي بصفة عامة إذا أخذانا بنظر العناية تلك الأحكام النقدية المتناقضة إزاء الشعراء القدماء ، والتي لا تخلو من تعصب وهوى كتلك الأقاويل التي أثيرت حول المتنبي وشعره .

أما القضية الثانية؛ فتتعلق بتوصيف الذاتية والموضوعية والمقدار المقبول منهما في عملية النقد، إذ لا يستطيع الناقد – مهما وصف بالموضوعية– أن يعزل نفسه عن التأثر بالنص و"التأثيرية مبدأ من المبادئ المعترف بها في الحكم والتقدير. وهي ثمرة التفاعل بين الأعمال والأقوال "[٦٢] والتأثرية وفق هذا المفهوم تأثرية مشروطة مقيدة ناضجة، وهي تتباين عن الذاتية التي تصدر عن حكم مسبق نتيجة لهوٍ وتعصب بعيد عن القراءة الواعية الايجابية التي أصبحت سمة كثير من نقدنا المعاصر. كما ان غياب الموضوعية يصير الاحكام النقدية الى ضرب من المزاجية ووجهات النظر الذاتية التي لا تستند الى تبرير وتعليل منطقي فتخضع في اغلبها الى الاذواق التي تتفق حينا وتختلف احيانا أخرى بحسب ما تمليه المصالح والرغبات ، وهذه بحور لا سواحل لها.

رابعاً/ غياب النظرية النقدية:

إذا صح أن تطور النقد وظهور النظريات والمذاهب مرتبط بحالة التنامي في المجالات كافة، فأن واقعنا الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري المتخلف هو المسؤول عن عجزنا في صياغة نظرية نقدية. لكن المسار التاريخي لظهور المذاهب الكبرى في أوربا لا يشير الى ان هذه المذاهب ولدت بفعل الحراك المتنامي والانتعاش الحضاري، اذ ظهرت الكلاسيكية بعد ان فجعت أوربا بسقوط القسطنطينية وظهرت الواقعية كرد فعل لما خلفته الحرب العالمية .وعلى وفق هذا القراء فأن(انهزامنا الذاتي أن صح التعبير) هو المسؤول عن فشلنا في صياغة نظرية نقدية بعد ما أمدنا واقعنا بسيل من الانكسارات والهزائم على المستويات كلها كانت باعثا للمراجعة والتصحيح ، لو توافرت الارادة الجادة في بحث اسباب ضعفنا كما فعلت أوربا من قبل واليابان من بعد. لكن

بالرغم من ان امتنا مرت بمرحلتي الانتصار والانكسار عبر مسارها الزمني فأن الاستثمار الايجابي المتكامل لم يكن حاضرا في الحالتين فمن يتتبع أغلب الجهود النقدية العربية المبكرة يرى أنها لا تعتمد البناء الهرمي أو التراكمي، فهي جهود ذاتية ذوقية تمثل وجهات نظر أصحابها، وعلى شكل إشارات عابرة غير مشفوعة بالتعليل، ولم يكن للنقد كيان مستقل واضح القسمات ، فهو مرتبط بغيره متصل معه إذ " لم يقف النقد خارج البلاغة ، بل ربما لم يفرق بعض القدماء بين علوم البلاغة وبين النقد، ويتضح هذا في كتبهم التي سميت باسم النقد وبحثت في أبواب البيان كنقد الشعر والعمدة" (٦٣) والمادة النقدية في أغلب هذه الكتب مكررة تحت أبواب معهودة مثل السرقات الشعرية، واللفظ والمعنى ، والقديم والمحدث ، والطبع والصنعة وغيرها ،ولكن هذا لا يلغي جهودا نقدية متميزة أسست مفاهيم لها شأنها في عالم النقد ، كنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، وعمود الشعر في كتاب نقد الشعر للآمدي، وأن قسما من هذه الجهود يتسم بالأصالة والعمق ،ويتفق مع احدث ما توصلت إليه المناهج النقدية الحديثة، بيد أن هذه الجهود – بحكم أنها جهود مُؤسِسة ورائدة– لم تتبلور لتشكل نظرية متكاملة في النقد الأدبي ،أو تؤسس مذهبا ومدارس مستقلة "فالفكر النقدي لدينا فكر شمولي لم يتحول بعد إلى خطة تفصيلية في التعامل مع النص " (٦٤) ولم يكن بالإمكان بحكم ريادة هذه الجهود مطالبتها بأكثر مما قدمت ، وكان يمكن لهذه الجهود النقدية – على تبعثرها – أن تكون قاعدة لتأسيس نظرية نقدية عربية تستمد أصولها من التراث ، وتتغذى بالصالح الجديد الذي ينتجه الفكري الإنساني عامة ، لو أن الجهود النقدية الحديثة دارت في فلك هذا التصور، لكن شيئا من هذه المزاوجة لم يحصل، فقد اتجه النقد الحديث شطر النظريات الغربية والمذاهب الفكرية الوافدة دون أن يراعي خصوصية الأدب العربي وهويته ،ودون أن يكلف نفسه فحص المرجعية الفكرية لهذه المذاهب، والظروف التي نشأت في ظلها، والنتيجة كانت بعد عقود من الممارسة التنظيرية والتطبيقية أن نقدنا لازال يعاني من أزمة حادة تهدد هويته وكيانه ، ولازال في الوقت نفسه بعيدا عن الخطوات الحقيقية لبناء صرح نظرية نقدية ، فالآثار النقدية المعاصرة على كثرتها وعلى تنوع مؤلفيها لا تصلح لان تكون أصلا ثابتا يُرجع إلية في نقد الأدب ، لأنها أثار متباينة يتجه كل منها اتجاها خاصا ، مما زاد من حدة هذا التباين اختلاف النتاج الأدبي، وتباعد الاتجاهات الفنية والمبادئ والأهداف التي يصدر عنها هذا الأدب، فيكاد كل أديب يشكل مدرسة بذاتها (٦٥)، ومن يتأمل الحراك النقدي في النصف الثاني من القرن الماضي، يعثر على حركة نقدية متذبذبة بين نقد اجتماعي يربط النص بسياقات مختلفة، ولعل أبرزه الفكر الاشتراكي، وبين نقد أغلق النص على ذاته وتجاهل السياق كلية متأثرا بالشكلانيين الروس ومدرسة النقد الجديد. وعلى الرغم أن النقد الألسني، على جدته وأهميته، لم يستطع أن يفيد النقاد والدارسين العرب كثيراً في معاينة النص، بقدر ما مهد السبيل أمام بلاغة شكلية جديدة، وحسبنا أن نتذكر

كتاباً هو خطاب الحكاية لجيرار جينيت الذي فيه تصنيف ذكي وجهد كبير، ولكنه أورثنا هماً ثقيلاً بما قدمه من تصنيفات شكلية لا تفرق في الأغلب بين نص وآخر مهما يكن البون بينهما واسعاً.[٦٦] – وفي ظل هذا الواقع كان من الطبيعي أن يظهر التفاوت في النقد الأدبي ومقياسه ، وتتلاشى الطموحات الدعية إلى تأسيس نظرية نقدية عربية، بالرغم من محولات النقاد المعاصرين، كمحاولة الناقد حسام الخطيب التي جاءت بعنوان (مقترحات مبدئية باتجاه نظرية عربية في الأدب) ومحاولة عبد الفتاح كليطو في كتابه (الكتابة والتناسخ)والناقد حاتم صكر في كتابه (البئر والعسل) ومصطفى ناصف في منجزه النقدي العربي (نحو قراءة ثانية)[٦٧] بعد ذلك لا مناص من التسليم بحكم الدكتور يوسف نور عوض على الرغم من قسوته: بأن نظرية الأدب علم غربي بالرغم مما يثيره هذا القول من حساسية في عالمنا العربي؛ ذلك لأننا بقينا زمنا طويلا نضع نقادنا أمثال طه حسين والعقاد والمازني وشكري وعز الدين اسماعيل وأخيرا عبد السلام المسدي وعبد الله الغذامي وغيرهم، في مصاف المواهب التي تجاوزت الاطار المحلي ، ولا يشك أحد أن هؤلاء النقاد أسهموا الى حد كبير في إثراء عملية النقد في العالم العربي ، لكن يجب أن نرى بوضوح أن معظم هؤلاء انطلقوا في واقع الامر من نظريات وتصورات غربية خالصة ، واذا كان ذلك لا يحرمهم من مكانتهم كنقاد تطبيقيين ،فأنه يثير كثيرا من التساؤلات حول أحقيتهم أن يكونوا نقاد منظرين[٦٨]. بالرغم من الصورة القاتمة لهذا الحكم الا انها لم تجانب الصواب كثيرا فهناك صور قريبة منها في جوانب الحياة العربية المختلفة تشكل بمجموعها مرايا متعاكسة ترسم عمق ازمتنا . والنقد واحد من هذه الجوانب وحبل من حبائل هذه الجدلية الشائكة و لن يتعافى ما لم تكتب السلامة للمجموع .

خامساً/ التراث (بين الالغاء والابقاء):

تشكل أزمة النقد العربي جزءاً من أزمة ثقافية عامة ، تتجلى في تأرجحها بين الثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الغربية. وتبعا لهذا، ظهر تياران: تيار محافظ يدعو إلى التشبث بالتراث للخروج من الأزمة الثقافية، وتيار ينشد الاستلهام من الثقافة الغربية، والانكباب على المنجز النقدي الغربي انكبابا غير واع، و التنكر للتراث[*] وتهميشه على مستوى الممارسة والتنظير، بالمقابل فهناك تيار أخر مبالغ في تمسكه بالتراث وكثيرا ما يردد عند الحديث عن الجديد في الجهود النقدية واللغوية والفكرية في الغرب عبارة مفادها ...إن هذه الفكرة أو أساسها موجود عند الجرجاني أو الآمدي أو

---

[*] التراث: يشمل كل ما ورثناه عن إبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية ،ويشمل كذلك الوحي الإلهي (القرآن الكريم والسنة النبوية)الذي ورثناه عن أسلافنا والتراث يشمل أشياء كثيرة...التراث :هو صورة الماضي بكامله والذي يمتد حتى يتصل بالحاضر فهو لا يمثل عصرا بذاته ولا مجتمعا بذاته انه نتاج تراكمي لأمة من الأمم على مر الزمان ينظر: المنهج الإسلامي في النقد الأدبي –سيد سيد عبد الرزاق–ص١٣

بن خلدون أو سيبويه ....الخ .لكن شيئا من هذا التصور – الصحيح– لا يأخذ حقه كفاية على مستوى توظيف هذا التراث، والانتفاع منه في المنجز النقدي الذي يعاني من تبعية تكاد تسلبه هويته؛ لانَّ هذا التيار يقف بالتراث في نقطة زمنية ثابتة غير ممتدة الى الحاضر من اجل استنهاضه، في الوقت الذي يفرض هذا التيار على التراث كله القداسة كرد فعل لمواقف سلبية اتخذها البعض من التراث تتجاوز قضية عدم الالتفات اليه وتقزيمه إلى الطعن في هذا التراث ،ورفضه وإقصائه من ساحة العمل النقدي ،بل وتحميله التبعات السلبية للواقع العربي الراهن. وبدأت حالة من الانفصام بين النقد والتراث، بل حالة من العداء صار فيها الأدب ونقده وكتب تاريخ الادب ايضا معاول هدم للتراث والتاريخ الإسلامي ، كما فعل جورجي زيدان في رواياته التاريخية وطه حسين في كتبه الأدب الجاهلي وحديث الأربعاء ومستقبل الثقافة في مصر ، وسلامة موسى في مقالاته، ولويس عوض في إصداراته، ثم تابعهم بعض الكتاب والنقاد العرب تمدهم في ذلك أقوال المستشرقين ودراساتهم التي تتوافق وهذا المنظور ،حتى صار النيل من التراث والشكك فيه منهجا عند الدارسين والنقاد فيما بعد، تجلى في أوضح صوره في (الثابت والمتحول) لأدونيس وغيره من كتابات الحداثيين.[٦٩] وفي الحالات التي يشار فيها الى التراث فان انظار هذا الفريق تتجه صوب المناطقة المعتمة او السوداء في هذا التراث على قلتها فيكثر عندهم ذكر الفتن والخلافات بين المسلمين بصورة مبالغ فيها اعتمادا على الاخبار الضعيفة او الموضوعية كما فعل جرجي زيدان في معظم رواياته، فقلما يعثر القارئ على موضوع يعكس حقيقة الحياة الاسلامية في أدب هذا الفريق المعجب بتصوير حياة الحشاشين والعيارين والزنادقة والمنحرفين والشعراء الماجنين والشاكين وبطولاتهم بوصفها السمة الغالبة على السلوك الاجتماعي للناس ، او بوصفها المعادل الموضوعي للتحرر والثورة والابداع. واذا كانت هذه الصورة متحققة في الكتابة الإبداعية فأن صورة اخرى تقابلها في الكتابة النقدية تتمثل بالقراءة الجزئية الانتقائية لهذا التراث التي تستعجل الحكم وتخضعه في غالب الاحيان لتوجهات الناقد وأيدولوجيته فالقراءة لا تتجه من النص صوب الفكر وانما من الفكر صوب النص .

ودعوة الالتفات إلى التراث بصفة عامة ، والتراث النقدي بصفة خاصة لا تمثل تحيزا للتراث كما لا تعني عدم الإفادة من الأخر ،ولكن هذه الدعوة تؤمن بأن الجهد النقدي التراثي أقرب إلى روح الأدب العربي ،وقضاياه اللغوية والفنية ومرجعيته التاريخية والثقافية، ومن ثم فالنقد المولود في البيئة العربية اشد تعبيرا وفهما للشاعر ابن ذات البيئة ،والحال نفسه ينطبق على النقد الغربي. زيادة على ان طرح التراث كله – ومنه التراث النقدي– ظهريا و تسفيهه والحط من قدره أمر خاطئ ،بالقدر الذي يعد التعصب للتراث وفرض القداسة علية كله أمرا خاطئا أيضا ؛لأن التراث جهد الإنسان وفلسفته للعلوم والأشياء والمعارف، وفيه من الصواب و الخطأ بقدر توفيق المجتهد ومدى

وقوة ملاحظته وتوقد ذكائه ،وأعمال فكره ،وصحة قياسه واستنباطه واستحضاره للأدلة ،ورصيد التراث من النجاح والصحة وافر السلامة ، بشرط مراعاة الجانب المقدس ذو المصدر الإلهي (القرآن والسنة)فكلاهما معصوم لابد من احترامه وتوقيره، لذا فهما فوق المسألة والمناقشة ،ومن ثم فلا يصح – بصدد التعامل مع هذا الجانب من التراث – الانتقاء والاختيار منه، أو توظيفه لتحقيق مصالح خاصة ،أما الجوانب والمنجزات البشرية والحضارية والثقافية والأدبية والنقدية فأنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة وحسب الحالة والمصلحة. (٧٠)

النتائج:

ترفض ثلة من النقاد الاعتراف بوجود اشكاليات يمر بها النقد وصلت حد الازمة ليشكل هذا الرفض بحد ذاته ازمة تبدأ من خارج السياقات النقدية أو الخطاب النقدي ؛لان هذا النهج من شأنه أن يحرم هؤلاء من عملية المراجعة والتصحيح ونقد النقد الذي بات يشكل موضوعا للتفكير والتحليل، وبالرغم من أن هذا النشاط قديم في الممارسة النقدية العربية، إلا أن التنظيرات الحديثة هي التي سعت إلى الارتقاء به إلى درجة الكيان المعرفي النوعي ضمن كيانات العلوم الإنسانية. وتحت عناوين مختلفة مثل (نقد النقد –قراءة القراءة– قراءة ثانية)او ازمة النقد كما هو عنوان هذه الدراسة الا ان الارهاصات الاولى لهذا الضرب من المراجعة النقدية تعود الى مراحل مبكرة الا انها لم تكن تحمل عناوين دالة وصريحة تكشف عن منهجها. وبعيدا عن جدلية القبول والرفض أو الاعتراف بهذه الازمة أوعدمه ، فأن قراءة الواقع النقدي العربي اشرت على نحو واضح الى وجود ازمات متنوعة تم تصنيفها منهجيا الى عدة عنوانات مع الاعتراف ان عملية التصنيف هذه ليست الا ضرورة منهجية لان حبائل هذه الازمة مترابطة على نحو شائك يصعب فرزها ،بل ان ازمة النقد ككل مترابطة مع ما يمر به الواقع العربي بكل مجالاته من اشكاليات .وقسمت محاور الازمة المفترضة التي يمر بها النقد الى: المذاهب الغربية بين الرفض المطلق والقبول المطلق، ولغة الخطاب النقدي ،والذاتية والموضوعية ، وغياب النظرية النقدية ، وموقف النقد من التراث.

وقد كشف لنا تتبع ازمة النقد في العنوان الاول (المذاهب الغربية):عن وجود تيارين من النقاد كل منهما غالى وتطرف في نظرته الى المنجز الغربي ،فبينما انكب التيار الاول على المنجز الفكري والثقافي الغربي بنهم دون تميز بين حلوه ومره خيره وشره فصار كرجع الصدى لكثير من المناهج الغربية يتبناها ،من دون الالتفات إلى طبيعتها ومنطلقاتها الفكرية وجذورها التاريخية.. أثار تيار ثان العزلة التامة والتقوقع على الذات بحجة المحافظة على الخصوصية والهوية فبدا انه يسير ضد طبيعة الاشياء والسنن والتاريخ ،بل ضد منهج الفكر الاسلامي الذي تحاور مع مجمل الفكر العالمي. وقد عجز هذا التيار عن تقديم البدائل إذ لم يوظف التراث التوظيف الامثل ليتقي به هجوم النظريات الوافدة.

أما على مستوى الخطاب النقديّ؛ فقد تحولت لغة النقد بفعل الترجمة والنزعة الفلسفية إلى أزمة ،تحول دون فهم النصوص النقدية ،ترتبط معها فوضى عارمة على مستوى استعمال المصطلحات إلى جانب الإسراف في رسم الجداول البيانية والإحصاءات الرياضية والمعادلات الحسابية بداعي الموضوعية والعلمية. في المقابل فقد اتسم قسم من نقدنا عموما بغلبة النزعة الذاتية وتحكم الأهواء الشخصية ،فتحول النقد إلى سلاح للنيل من الخصوم وأداة للتشهير وغابت الموضوعية عن أحكامه، وفقد شخصيته وحضوره وهويته.

غالبا ما يقاس التطور النقدي عن طريق قدرة اصحابه عن بلورة افكارهم وانسجامها حيال مجموعة من القضايا المختلفة التي تخص الادب.. والمتتبع للجهود النقدية العربية يرى أنها لا تعتمد البناء الهرمي أو التراكمي، فهي جهود ذاتية ذوقية تمثل وجهات نظر أصحابها، فما زال نقدنا بعيدا عن الخطوات الحقيقية لبناء صرح نظرية نقدية ، فالآثار النقدية المعاصرة على كثرتها وعلى تنوع مؤلفيها لا تصلح لان تكون أصلا ثابتا يُرجع إلية في نقد الأدب؛ لأنها أثار متباينة يتجه كل منها اتجاها خاصا. لذلك غاب المنهج السليم والرؤية الصائبة، فالمتأثرون بالريح الغربية بكافة أشكالها وتياراتها ليس لهم أصول محددة، أو مدارس ثابتة، وهذا ما يفسر غياب النظرة النقدية الموحدة التي تشكل عائقا أمام الجهود الرامية لتأسس نظرية نقدية عربية.

ظهر تياران متناقضان في دنيا النقد كلاهما شكل ازمة من خلال نظرتهما للتراث نظرة قائمة على الافراط والتفريط ما بين تيار محافظ يدعو إلى التشبث بالتراث للخروج من الأزمة الثقافية، وتيار ينشد الاستلهام من الثقافة الغربية. والانكباب على المنجز النقدي الغربي انكبابا غير واع، والتنكر للتراث، وهما بهاذين الموقفين المتشنجين لم يستطيعا ان يقدمان الكثير للنقد.

التوصيات:

إنّ موقف الأدب العربي ونقده من هذه المذاهب الغربية ينبغي أن يكون – شأن موقفه من الفكر الغربي عامة – موقف اصطفاء واختيار ، أن يستفيد منها لا أن يقلدها ، أن يعرضها على ميزان عقيدته ولغته وذوقه ، فما أتفق معها أخذه ، وما تناقض معها رفضه ، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق ، ففي هذه المذاهب بعض ما يصلح لنا ، ولكن فيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر ، ويتناقض مع تصوراتنا العقدية ، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون والجمال. هذا التصور من شأنه أن يحفظ لنقدنا هويته وشخصيته في الوقت الذي يجعله ينتفع مما يقدمه الفكر الإنساني عامة.

يجب على الناقد ان يوفق بين خصوصية اللغة النقدية وبين تلاشيها وابتذالها بين قصرها على النخبة وبين بسطها كل البسط على الجمهور دون حاجة، بين مخاطبة العامة ومخاطبة الخاصة ، ويجب على الناقد الاهتمام باللغة بوصفها سلاحا ماضيا بيد الناقد لا يمكن التخلي عنه مطلقا في

عصر بات العزوف عن القراءة بكل اشكالها يعد اكبر تحد تمر به الثقافة ومن صور الاهتمام بها تقريبها الى افهام الجمهور دون تفريط بشيء من خصائص اللغة او شروط النقد فمن جميل اعترافنا بأهمية ما وصل اليه النقد من تطور بسط لغته لا الاتجاه بها صوب الغموض والتعقيد. ويلزم الحذر من آفتين خفيتين في عملية النقد أولهما الذاتية المفرطة الخاضعة لرغبات الناقد وموقفه الشخصي من النص وصاحبه سلبا وايجابا فيتحول نقده قدحا او مدحا دون الاستناد الى معايير النقد الحقيقية وثاني هذه الآفات تجاوز المقدار المقبول من الموضوعية الذي تصير معها العملية النقدية معادلات رياضية وفرضيات حسابية ومخططات ورسوم لا تنسجم مع بعض خصائص الفن العصية على القياس بمثل هذه الادوات كالعواطف والافكار والاخيلة والحالات النفسية والشعورية فالحذر هنا ليس من استعمال لموضوعية، وإنما يتعلق بتوصف هذا المقدار كما ان التأثرية امر مطلوب لكن يجب ان تكون الذاتية ذاتية مشروطة منضبطة. وينبغي ان يكون موقف الناقد من التراث موقفا متوازنا إذ لا يصح – بصدد التعامل مع التراث – الانتقاء والاختيار منه، أو توظيفه لتحقيق مصالح خاصة كما لا يصح فرضه كله على الواقع .باستثناء الجانب المقدس منه القرآن والسنة–. أما الجوانب والمنجزات البشرية والحضارية والثقافية والأدبية والنقدية فأنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة وحسب الحالة والمصلحة ،وعلينا الاجتهاد في صياغة رؤية نقدية موحدة بالانتفاع من الجهود النقدية العربية القديمة والحديثة وان نراجع موقفنا بإزاء بعض المواقف المهمة بدل حالة الجدل التي ارهقت الفكر العربي بين تيارين متنازعين احدهما يتهم بالرجعية والاخر بالتغريب .

الهوامش:

١.ينظر: أزمة النقد العربي –د. ابراهيم السعافين – جريدة الدستور الاردنية–العدد رقم ١٧٣٨٩ السنة ٤٩ – الأثنين ٢ ربيع اول، ١٤٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون الأول ٢٠١٥م

٢.ينظر: تحولات الفكر والسياسية في المشرق العربي– محمد جابر – عالم المعرفة –الكويت –ص٧٨

٣.ينظر: مجتمع النخبة– برهان غليون– معهد الانماء العربي –بيروت –١٩٨٦–ص٩٩

٤.ينظر: مستقبل الثقافة في مصر–طه حسين –دار المعرفة –الطبعة الاولى – ص٧٤

٥.ينظر: البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث –د. سيد بحراوي –دار الشرقيات للنشر والتوزيع –القاهرة – ط١–١٩٩٣ص١٨

٦.ينظر: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية – محمد ناصر العجيمي –دار محمد علي الحامي –الجمهورية التونسية–الطبعة الأولى ١٩٩٨–٤٣

٧.عباس محمود العقاد ناقدا– عبد الحي دياب–دار المعارف –القاهرة –٧٣

٨.ينظر: نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث–الدكتور لطفي محمد الجودي– مؤسسة المختار للنشر والتوزيع–القاهرة–الطبعة الأولى ٢٠١١– ص١٥

٩.ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام –عوض بن محمد القرني –هجر للنشر والطباعة والتوزيع– ط١–١٤٠٨هـ–١٩٨٨م ,68 وما بعدها

١٠. ثقافتنا في ضوء التاريخ، – عبد الله العروي –ط ١، المركز الثقافي، ٢٠٠٢، ص: ٢٣.

١١. نظرية الأدب في ضوء الإسلام– الدكتور عبد الحميد بوزوينه – دار البشير – عمان – الأردن – ط ١ ١٩٩٠– ١٦.

١٢. المذاهب الأدبية الغربية–د . وليد قصاب مؤسسة الرسالة –بيروت–لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥–١٩

١٣. في النقد الأدبي – عبد العزيز عتيق– دار الفكر بيروت– لبنان–الطبعة الأولى –٢٤٣

١٤. ينظر: المذاهب الأدبية الغربية – وليد القصاب –٢٠

١٥. ينظر: مدارس النقد الأدبي الحديث –محمد عبد المنعم خفاجة –الدار المصرية اللبنانية– ط ١ ١٩٩٥–١٥٣

١٦. ينظر: المذاهب الأدبية الغربية–٥٥

١٧. ينظر: الإسلامية والمذاهب الغربية –نجيب الكيلاني––مؤسسة الرسالة–١٩٨٧ ص–١٣٢

١٨. ينظر: في النقد الأدبي– محمد مندور–منشورات دار نهضة مصر –القاهرة–ص–١١٢

١٩. ينظر :نظرية الأدب في ضوء الإسلام –ص٤٥

٢٠. ينظر: المذاهب الأدبية الغربية –١٣٢

٢١. ينظر :الإسلامية والمذاهب الأدبية – ١٢١

٢٢. دراسة الأدب العربي– د. مصطفى ناصف: –الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة –١٩٨٣ص ٧٦

٢٣. (الأدب الذي نريد)حلمي محمد القاعود –مجلة البيان– العدد٢٤٥

٢٤. ينظر: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية– عبد العزيز حمودة–سلسلة عالم المعرفة–المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عدد٢٧٢– الكويت ٢٠٠١ص٣٤

٢٥. ينظر: مبادئ في الأدب والدعوة– عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني دار القلم –دمشق ط ٢ الثانية–١٩٨٧–١٣

٢٦. المذاهب الأدبية الغربية –٢٧

٢٧. ينظر: حول الانتفاع من الفكر الغربي كتاب الدكتور عماد الدين خليل (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي)٣٣ وينظر: المنهج الإسلامي في النقد الأدبي –سيد سيد عبد الرزاق –– دار الفكر المعاصر– بيروت، دمشق–الطبعة الأولى ٢٠٠٢–ص١٧٥

٢٨. انتقال النظريات – إدوارد سعيد –ترجمة اسعد رزق –مجلة الكرمل –مؤسسة بيسان ع٩٤–لسنة ١٩٨٣–ص٤٣

٢٩. ينظر: اثار النظرية الغربية في النقد الروائي العربي –.معجب بن سعيد الزهراني– مجلة جامعة الملك سعود – كلية الاداب–– الرياض– المجلد التاسع سنه ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م .ص٥٧

٣٠. ينظر: المصدر نفسه– ص٥٨

٣١. النقد الأدبي الجديد في القصة والرواية والسرد–عبد الله أبو هيف– منشورات اتحاد الكتاب العرب–دمشق ٢٠٠٠–ص٢٣

٣٢. نقد خطاب الحداثة –١٣

٣٣. أزمة النقد العربي –د. ابراهيم السعافين – جريدة الدستور الاردنية–العدد رقم ١٧٣٨٩ السنة ٤٩ – الأثنين ٢ ربيع اول، ١٤٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون الأول ٢٠١٥م.

٣٤. ينظر: شعرنا القديم والنقد الجديد–وهب أحمد روميه –المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – سلسلة عالم المعرفة عدد٢٠٧– الكويت ١٩٩٦ –٧

٣٥. النقد الأدبي في القرن الأول الهجري–د –إبراهيم نصر – ٨٤

٣٦. ينظر : لغة النقد العربي القديم – د: عبد السلام محمد رشيد –دار المختار – القاهرة–٢٠٠٨–ص٢٩

٣٧. ينظر :لغة النقد– ٣٠ومابعدها

٣٨. مئة عام من الفكر النقدي، – سعيد الغانمى– دار المدى للثقافة والنشر– ٢٠٠١ –.ص ١٥٤

٣٩. يُنظر: المفكرة النقدية، بشرى موسى صالح –الناشر::دار الشؤون الثقافية العامة بغداد–: ٢٠٠٨ – ص١١٢.ينظر: المرايا المقعرة– عبد العزيز حمودة–١٠٦.

٤٠. يُنظر: النص الأدبي من أين؟ وإلى أين، د. عبد الملك مرتاض–: ديوان المطبوعات الجامعية–الجزائر –– ١٩٨٠ص–١٥٠

٤١. المرايا المقعره–١٠٧

٤٢. جدلية الخفاء والتجلي –كمال ابو ديب– دار العلم للملايين –بيروت – ١٩٧٩– ص٧٨

٤٣. ينظر: نظريات النقد الحداثي في الميزان –محمد حسن زيني– بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة من ٥–٧شعبان ١٤١٩هـ الجزء الثاني –ص٣٢٥

٤٤. ينظر المصدر نفسه –ص ٣٣٣

٤٥. ينظر: نقد خطاب الحداثة–٧٧

٤٦. ينظر: ازمة النقد العربي – د ابراهيم السعافين– جريدة الدستور الاردنية–العدد رقم ١٧٣٨٩ السنة ٤٩ – الأثنين ٢ ربيع اول، ١٤٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون الأول ٢٠١٥م.

٤٧. البيان والتبيين– أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (١٥٩هـ – ٢٥٥هـ)–تحقيق عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي –القاهرة ج١–ص١٣٨

٤٨. البيان والتبيين– أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (١٥٩هـ – ٢٥٥هـ)–تحقيق عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي –القاهرة ج١–ص ١٨٣

٤٩. نقد خطاب الحداثة –٨٢

٥٠. ينظر: إشكالية ترجمة مفاهيم «التفكيك»(Déconstruction)في النقد العربي المعاصر–علي صديقي– .مجلة اللغة العربية –المغرب عدد١٢٣–السنة ٢٠٠٩ص٢٤

٥١. اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود – عبد الوهاب المسيري–دار الشروق –القاهرة ط١ –١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢ص– ١٩

٥٢. "ما وراء المنهج : تحيزات النقد الأدبي الغربي " سعد عبد الرحمن البازعي (١٩٨٩) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت . الكويت. وأعيد نشره في كتاب: إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد (هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ١٩٩٦).ولم يحصل الباحث على الكتاب .

٥٣. إشكالية ترجمة مفاهيم «التفكيك»(Déconstruction)في النقد العربي المعاصر.–علي صديقي–مجلة اللغة العربية – المغرب –العدد١٢٣السنة ٢٠٠٩ص٢٣

٥٤. إشكالية ترجمة مفاهيم «التفكيك»٢٦

٥٥. التيارات المعاصرة في النقد الأدبي –بدوي طبانة– دار الثقافة بيروت –لبنان ١٩٨٥–ص٥٦

٥٦. على السفود – مصطفى صادق الرافعي – دار العصور– القاهرة– ١٩٣٠–ص١١١

٥٧. ينظر: التيارات المعاصرة في الادب–٥٠

٥٨. التيارات المعاصرة–٥٣

٥٩. التيارات المعاصرة –٦٥

٦٠. المصدر نفسه٥١

٦١. الأسس الجمالية في النقد العربي– عز الدين اسماعيل –١٥٣

٦٢. نقد خطاب الحداثة – ٢٥

٦٣. ينظر: التيارات المعاصرة–١٢٢

٦٤. أزمة النقد العربي –ابراهيم السعافين

٦٥. ينظر: نقد خطاب الحداثة –٣٢

٦٦. ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث– الدكتور يوسف نور عوض–دار الامين للنشر والتوزيع–القاهرة– ط١– ١٤١٤هـ–١٩٩٤ص٥

٦٧. المنهج الإسلامي في النقد الأدبي– سيد سيد عبد الرزاق – دار الفكر المعاصر– بيروت، دمشق–الطبعة الأولى ٢٠٠٢ص–٣٢

٦٨. ينظر: مقالات الإسلاميين–ص١٥٢ وينظر :النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته– نجوى صابر– دار العلوم العربية بيروت– لبنان –الطبعة الأولى ١٩٩٠– ٦٨ وينظر :أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي – محمد زغلول سلام– مطبعة المعارف المصرية– القاهرة –الطبعة الأولى–ص–١٤٥.

Identity Crisis in the critical discour

By

Assist . prof Dr. Hassan Salim Hindy

University of Anbar College of Education for women

Abstract:

The challenge facing our nation at the level of identity and privacy of the most dangerous forms of the challenge and the most lethal in the entity of the nation, and it seems this fresh in the social, political and economic aspects illustrated at its peak in the intellectual, literary and cultural aspects, and tools responsible for evaluating namely Monetary who is suffering from a crisis of identity and belonging .otbdo the features of this crisis in several directions: those related to the impact of doctrines expatriate cash and curricula that are not consistent in its premises and perceptions and ideas with the nature of Arab literature and privacy, including with regard to the language of criticism itself transformed by the translator and the tendency philosophical to another crisis transformation without understanding the critical texts , with which it has complete chaos on the level of use of terms and localization adding new problematic and other crisis. This comes in the whole framework of the unclear position of heritage in general and monetary Heritage in particular.